حولى عينيك ...

للشاعر عبد الرحمن الخميسى

حَوِّلى عَيْنَيْكِ، إنى لا أُطيقْ ما تَسُبَّانِ بنفسى من حريقْ
حَوِّلى عنى سُـــطُوعاً فيهما قد أرانى الجُرْحَ فى غَوْرى العميقْ

حَوِّلى عنى سمـــاء فيهما طَيْرُهَا قلبى، ونجواها خُفوقْ!
حَوِّلى عنى لهيبـــاً فيهما لَفْحُهُ يُوغِلُ فى مَسْرَى العروقْ

إنمـــا تَرْسُبُ عيناكِ إلى قاع روحى... كالرَّدَى المُتَعَقِّدِ
إنما تخترقُ النفس بما فيهما من لهب مُتَّقِد ! !
إنمـــا تثقبُ ما أنسجُهُ مِنْ غِشاء الكِبْرِ فى مُنْفَرَدِى
إنما تَجْذِبنى .. مُنْطَرِحاً تحتَ أقدامِكِ، مَغْلُولَ اليَدِ!!

حَوِّلى عَيْنَيْكِ يا قاتلتى أنا لا أقوَى على ما فيهما
ليْتَ لى القوَّةَ ، أستَنْزِفُهَا فى مُعاناةِ المنـايَا منهما ! !
لَيْتَ لى القُوَّةَ، لكنْ ما نجا فى احْتِمالى رَمَقٌ أو سَلِمَا
ما نجا لى رَمَقٌ يُسْعِدُنِى أن أُضَحِّيهِ ذَبيحاً لهما

حَوِّلى عَيْنَيْكِ يا قاهرتى واسمعى القصةَ تَنْدَى بالدِّماءْ
قد نبشتُ القبرَ، فاضحُ الآن يا ماضِيَ الحبِّ ، قتيلَ البُرَحاءْ!
واغْتَفِرْ لى أننى قد هَتَكتْ قبضتى الحُرْمَةَ فى وادى الفَناء
أيُّهَا الماضى...أفِقْ واخْطُرْ كما شئتَ بالأكفانِ فى هذا الفضاء

أيُّهَا الماضى ...أفِقْ واقْذِفْ بما فيكَ من هَوْلٍ إلى مَرْأَى العُيُونْ
كلُّ يومٍ فيكَ كأسٌ مِلْؤُهَا دَمُ قلبٍ ، وَنُفَاثَاتُ طَعِينْ ! !
وَثَوَانيكَ شُجُونٌ رَزَحَتْ تحتَهَا مُهْجَةُ غِرٍّ أمين
سَقَرٌ أنتَ وقد كابدتُهَا فى نعيم الحبِّ فيَاضَ الشئون

أيُّهَا الماضى أفِقْ واجْهَشْ بما فيكَ من رعْدِ البلايا والعذابْ
كى تُريهَا ما بأيامِكَ من حُرُقَاتٍ وَدُمُوعٍ وسَرَابْ...
جُثَّـــةٌ أنتَ ... وقد مزَّقَهَا
سَوْطُ حِرْمَانِ شبابٍ من شبابْ
إسْلَخِ الأيامَ من طلعتها تتساقَطْ حولها فوق التراب !

أنتَ يا ماضِيْ...أطْلِقْ نحوها كلَّ أوقاتِكَ من قَيْدِ الزمن
تتـــعرَّى فى خُطَايَ تَلْقَفُهَا عثراتٌ وشكوكٌ ومحنْ ...
وانشُرِ الآنَ ليَالِيَّ التى تعرِفُ الحدَّ وتبقى الشجنْ
تَرَى ظلالَى السهدَ الذى طالما سايرَنى فوق الدِّمَنْ ! !

ابعثِ الآنَ دفينَ الذِّكرِ لتريها كيف ولى عُمرى
فى هلاكِ اليأسِ قد طاردنى خوفُ قلبٍ باللظى مُدَّثِرِ
خوفِ حرمانٍ تَرَدَّيْتُ به وارتوى من نابعاتِ الفِكَرِ
وتلوَّى فى ضـــلوعى نَهِماً يقتدِى بى فى شقاء السهر

كم حنين قصَّ وُجدانى وما كفكفتْ حتى صبغتْ ليلِىَ الدماء
وعذابٍ طحن النفس فلم يُبْقِ منها ما يُذَرِّيه الهواءْ
وبكاءٍ كنت أستَدْنِي به فى خيالى رحمةً لى أو عزاء
وأحرُّ الدمع ماتبـــذله عين مظلوم شديد الكبرياء

هذه الغيلان عَبَّتْ من دمى فانتشت تقصف فى هَوْلِ الظلامْ
نهشَتْ لحمى فدَوَّت من فمى صرخاتُ الذعر والناس نيام
وأنا وحدى دكَكْتُ أعظُمى رهبةُ المُشْفِى على مهوى الحِمام
هذه الغيلان غيلان الأسى أكلَتْ راحة قلبى المستهام

هـذه الغيلان لم تُبْقِ سوى هيكل من جسدى مرتعد
وعظامٍ زلزلتها فى الدُّجى سَطْوَةُ الحُمَّى التى لم تُقْهَدِ
طالَ أسـعى وزادى لم يعد غيرَ أشواق أضاءت معبدى
طالَ أسـعى وفى أركانه روح آمالى التى لم تُلْحَدِ

طالَ مُنْتَفِضٌ يمشى وقد قصمَتْ أضلاعَهُ فأسُ القضاء
خَرِبُ الأنحاء يستوطنه من معدات المنايا ألف داء
شاحب الجلد كأنى مَيِّتٌ طرد اللحدُ رُفاتى فى الخلاء
إن تجده العين لا تُنكره إنما تمطرُه سَيْلَ بكاء ! !

يَمْتَدُ الأحياء في قبسته رحمةً ، لو يستدرّ الرحماء
إنما يعنيه قلبٌ واحدٌ هو في صدرك يا نيلَ الرجاء
انظري كيف استحالت نضرتي صُفرة يُنكرُها حتى الفناء
غائر العينين ، مَعروقاً بما أطفأتْ سحرها ريح الشقاء

أيها الماضي ألا تعرفني ؟ شدَّ ما ألقاكَ قد أنكرتني!
أنتَ مني قطعةٌ كفتُّها بيديني وطواها زمني !
أنتَ بُنيانٌ أقمنا فوقَهُ حاضراً... يا ليتهُ لم يكُنِ !
حاضراً يمتصُّ أعصابي ولا يَنثني بالويلِ يستنزفني

أنتَ سَيلٌ عارمٌ مُنحدرٌ من حياتي في مَصبِّ الأزلِ
هَلْ لأمواهكَ أنْ ترتدَّ في نهرِ عُمري، مُرجعاتٍ أوَّلي؟
ثُمَّ هَلْ للريح أنْ تقتادني في اتجاهٍ غيرِ ما قُدِّرَ لي ؟
كيْ أُوَقِّيكَ الذي حمَّلتهُ من رُكامِ الثوبِ المتصلِ !

أين تمضي أيها الماضي وفي أي كهفٍ تختفي بالعُمُرِ ؟
بعدَ موتي هل ستلقاني وهَلْ سوف ألقاكَ كميلَ الصُّوَرِ؟
أمْ ستنساني وأنساكَ وما عُدتَ تحيا نابضاً في ذِكرى
شدَّ ما أرهبُ لُقياكَ إذا حانَ حيني وانتهى بي سَفَري

أنتَ رَجْعٌ للأغاريدِ التي كنتُ أستودعُها قلبَ الزمانْ
عُدْ إلى ساحرتي واقطُر بما فيكَ من شجوٍ لديها وهوانْ
واختفرْ لي مَسلكاً في قلبها يحتويني مرَّةً منهُ الحنانْ
أيُّها الماضي وطهِّرْ كعبةً حولها تُعبَدُ فيها وتُصانْ

كم نهارٍ فيكَ أستوقفُهُ في هُوِيِّ الزمنِ المنصرمِ
قبل أن يلتحفَ الليلَ على مَهدِ ذاكَ الأفقِ المضطرمِ
كنتُ أستوقفُهُ مُستَرحماً أن يُعيدَ الكرَّ حولَ الأنجمِ
علَّ في أوقاتهِ لي مَوعداً تائهاً يُشرَى بروحي ودمي

كم غُروبٍ كنتُ أستمهلُهُ في اجتياحِ الهادرِ المنصرفِ
فزِعاً أجأرُ في تيَّارهِ بضمير راعدٍ مُرتجفِ :
أيُّها التيارُ لا تطرحْ لقى خلفَ أنوارِكَ نهبَ السُّدُفِ
إنني أخشى الدُّجى ، يا سُمْهُ لفؤادِ الصبِّ من مُقترفِ !

كم مساءٍ كنتُ أشتاقُ به زفرتي كالخنجرِ المنغرسِ
صُغتُ أنغامي به أنشودةً للهوى رقَّاقةً كالقبسِ
كم تمثَّلتُ بأحضانكَ قدْ شدتُها بالأملِ المندرسِ
شدتُها للحبِّ تستعبدُني وهي من صُنعي سوادُ الغلسِ

كم ظلامٍ فيكَ قد مزَّقتهُ عن صباحٍ مُسفهرِّ الجبهةِ
باعثاً طيرَ فؤادي نحوها ضارعاً بالشوقِ يفري مهجتي
آملاً تمنحهُ رحمتها فيُغني فرحاً في أيكتي !
وإذا الأيقاظُ ركبٌ هائلٌ وَصفٌ يسخرُ من أمنيتي

كم نسيمٍ فيكَ قد حرَّرتهُ من نِطاقِ الحيزِ المختلجِ
شربتهُ أذني واستعرضتْ ما به من همساتِ الموجِ
علَّها تظفرُ في طيَّاتهِ بصدًى من صوتها المنبلجِ
بصدًى يُبرقُ في روحي كما تُبرقُ الأنوارُ فوقَ الثبجِ

كم ربيعٍ فيكَ قد روَّيتُ من روضهِ بالدمعِ زهرَ الأملِ
وخريفٍ عاطفيٍّ غالَ ما أنبتَ الساقي بماءِ المقلِ
كم ربيعٍ فيكَ قد داهمني بشتاءٍ في ضميري موغلِ
بَرْدُهُ يصطكُّ منه قفصي ورَداهُ زاحفٌ في أجلي

هكذا ولَّتْ حياتي فانظري أيَّ موتٍ جرَّعتْنيهِ الحياةْ
أنقذي قلبي ففي دقَّاتهِ هتفاتٌ لكِ يا كلَّ مُناهْ !
هتفاتٌ شقَّتِ الصدرَ لها من سِنانِ الصدقِ حدٌّ لا أراهْ
فاسمعيها وارحمي مُرسِلَها فهْوَ يهواكِ ولو كنتِ رداهْ!

(القاهرة) عبد الرحمن النيسي

ديوان

أغاريد

الطبعة الثانية

فجر جديد في الشعر الحديث

ثورة على شعر المناسبات